هجرة عربية حديثة إلى اللاتينية بحثاً عن فرصة حياة (ناصر السهلي)

يعتب بعضهم على واقع السياسة العربي، خصوصا الدول القادرة على استقبال عمالة، حيث أوصلهم بحثهم عن عمل وتأمين ومساعدة الأهل إلى شوارع أميركا اللاتينية، كمهاجرين يسعون بكد إلى تحسين ظروفهم

هجرة عربية جديدة

شباب على أرصفة قسوة الفرص في ليما وسانتياغو

ليما ـ **ناصر السهلي**

بعد 14 سنة قضاها في السعودية، يجد اليمني إبراهيم الحضرمي نفسه على رصيف عاصمة البيرو، ليما، حيث تتبدى الفروق الطبقية بشكل لا تخطئه عين، لا مقيم ولا سائح. مثله كثيرون من شباب عرب تقطعت بهم السبل، وقد خططوا لأن تكون هجرتهم «مختلفة» عن تلك في أوروبا. ما يزال إبراهيم وبعض رفاقه ينتظرون تسوية أوراق هجرتهم، من خلال مكاتب الهجرة، وعقد عمل إبراهيم في بلد يعاني من فساد كبعض دول أميركا اللاتينية. إبراهيم، الذي توجس بداية من الكاميرا التي حملها مراسل «العربي الجديد» في ليما، وجد شجاعته حين راح المصري الثلاثيني عبد التواب محمود يلوّح بكفيه عن اضطراره إلى الهجرة من محافظة الشرقية في مصر إلى ليما في البيرو، مؤكدا أنه «منذ 2013، غادر أصدقاء لي نحو شرق آسيا. سألتهم أن يكونوا صريحين معي عن الحال هناك، صحيح أن بعضهم وجد طريقه، بعد مشقة ومخاطر مبكية إلى اللجوء نحو أستراليا، إلا أن أصدقائي قالوا لي الحقيقة: لا تخاطر فلن تجد عملا في ماليزيا أو إندونيسيا».

رحلة هجرة طويلة وشاقة

تختلف هجرة إبراهيم وعبد التواب عن هجرة قدماء عرب إلى ليما وسانتياغو، ففي الأخيرة قلة من يجد نفسه في مثل ظروف من حضر إلى ليما، خصوصا من حضروا عبر «كوتا لجوء» الأمم المتحدة، حيث أوجدت لهم الدولة، أثناء حكم يسار الوسط سابقا، المسكن وتعلم اللغة والانخراط في العمل. أثناء حديث عبد التواب عن «هجرة مؤقتة إلى بيرو»، انفرجت أسارير إبراهيم. يبوح بلكنة يمنية وبلغة بسيطة، وهو في الأصل من تعز، وإن بقي حذرا بشأن أسرته، «فهم ما زالوا يعيشون في السعودية، التي كبرت فيها يا أخي العربي في السعودية، لم أعرف اليمن بقدر معرفتي بالسعودية، اشتغلت في شركة لسنوات، وتحملت كل ما لا يخطر على بالك، لكني في النهاية وجدت نفسي على قارعة الطريق مطرودا.. تخيل أني عشت منذ صغري فيها وبعد 14 سنة يقال لك: عد إلى اليمن». غالب إبراهيم دمعة حين صمت قليلا، ويبدو أن 3 سنوات في البيرو حفرت أثرها في وجهه وشعره الذي بدأ يشيب وهو شاب، ليعود بسؤال: «لم علينا نحن العرب أن نسافر إلى أقاصي الأرض وبلادنا، بلاد الله، لا تسعنا ورحبة بغيرنا؟.. بل كيف أغادر إلى اليمن وقد انفجر فيها كل شيء باسم أنهم يريدون تخليصه من الحوثي، هكذا ببساطة يقول لك كفيل لا يفقه أن اليمن يعيش حربا: ارحل إلى اليمن». يخشى عبد التواب محمود الخوض في تفاصيل كثيرة عن حاله في بيرو، ولكنه يذكر أنه اختار هذا البلد «لأن البعض أمّن لي عقد عمل، وعلى أساسه أحصل على إقامة. لقد تركت أسرتي خلفي وأريد مساعدتها، وأسرتي أعني بها أيضا والديّ وأخواتي وزوجتي وطفليّ». وعلى عكس إبراهيم الذي تحرر لسانه من خوف أسباب رحيله، بقي عبد التواب مترددا ومتحفظا بالقول «العمل شحيح في مصر، أفهم ما يجري منذ سنوات في بلدي، لكنه مؤلم جدا أن أضطر وعشرات المصريين أمثالي إلى قطع آلاف الكيلومترات لينتهي بي الحال في مطعم، وليست تلك أحلامي وأمنياتي، لكني أصبّر نفسي بأني أعيل أسرتي بدل أن أصبح عالة عليهم».

حال عبد التواب مشابهة لعشرات المصريين في هذا البلد الأميركي اللاتيني. بعضهم خشي أن يتحدث من على بعد آلاف الكيلومترات عن قصته، وكأن الخوف من «بطش بالأسرة» لغة مشتركة لدى الخائفين والمقيمين منذ سنوات متنقلين بين عمل وآخر، وسعي لتأسيس الذات من الصفر.

أحد هؤلاء شاب ثلاثيني مفعم بروح ساخرة، كل أمله ألا يُذكر اسمه. يقول عبد التواب: «بصراحة لو أتيح لـآلاف مغادرة مصر لفعلوا، وبعضهم جازف بحياته وغرق في المتوسط، وآخرون في طريق التهريب نحو أستراليا». اللبناني ورجل الأعمال علي حامد، وهو يحمل الجنسية البيروفية، تحدّث عن قصص أخرى ناجحة لمهاجرين جدد وصلوا إلى البيرو منذ 12 و13 سنة ولديهم الآن مشاريعهم الخاصة. وأحد قدماء العرب، ممن ولد من أصول فلسطينية أشار لمراسل «العربي الجديد» بالتوجه إلى مسجد ليما حيث «يمكن أن تقابل هؤلاء الذين قدموا حديثا». على درجات المسجد، وقت صلاة الجمعة، ثمة تونسيون ومغاربة لم يترددوا في الحديث عن رحلة طويلة نحو هذه القارة. سعيد وصل من المغرب، وهو مصمم برامج حاسوب، أمله كان أن تكون تشيلي أو البيرو محطة «نحو كندا حيث لي أقارب وأردت أن أعمل بشهادتي، وها قد مرت 4 سنوات وأنا عالق هنا». مثله تحدث مصطفى التونسي: «المهربون يخدعون الناس، وللأسف أن هؤلاء أبناء عرب ينهبون جيوبنا ثم يتركوننا لمصير مجهول، لولا بعض أهل الخير القديمين من الفلسطينيين لما استطعت البقاء يوما واحدا هنا».

اختلاف الأحلام والأوضاع

أحلام عبد التواب وأصدقاء مصريين آخرين بسيطة جدا: «جمع ما أمكن من دخل للبدء بمشروع في مصر»، كما يتجمعون على أحد الأرصفة مقابل أحد المطاعم، ويرجون بأدب ألا تنشر صورهم. بعض هؤلاء، كالشاب اليمني وجد عملا في «مخبز عند سوريين لتوريده إلى مطاعم شاورما رغم قلتها، إلا أنها تنتشر أكثر فأكثر في هذا البلد». تختلف أحلام إبراهيم اليمني عن غيره، بلحّ في تقديم زجاجة عصير رغم أنه يحتاج لكل قرش، فمشواره طويل «فهذه ليست نهاية رحلتي، فقد كان مخططي مع صديق آخر الوصول إلى ديترويت الأميركية حيث يقيم أقارب لي». يريد إبراهيم وصديقه معاذ الوصول إلى أميركا «لإتمام الدراسة التي لم أتمكن منها في السعودية، ولا قدرة للأهل أن يدفعوا لي في جامعات خاصة». ويضيف معاذ أنه ينتظر «مرور 5 سنوات لأتقدم بجنسية بيروفية وبعدها أسافر إلى أميركا. أنا مضطر إلى ذلك، فلم يستطع الأهل تأمين دعوة لي بجواز يمني». تعرضت أحلام بعضهم إلى انتكاسة مكلفة نفسيا وماليا. فإبراهيم الذي تشجع على الكلام، بما يشبه تفويضا من الآخرين، وأحيانا بروح مرحة يقلد فيها اللهجتين اللبنانية والسورية، يقول: «خسرت آلاف الدولارات التي دُفعت لمهربين على أن أصل مثل معاذ إلى أميركا، ثم انقطع بنا الحال هنا في بيرو». وأكثرية هؤلاء من الدول المغاربية واليمنيين يتحدثون عن محطاتهم الأخيرة التي لم يصلوها نحو أميركا وكندا. «خدعة المهربين» يتشارك فيها جيل عربي وجد نفسه في ليما، حيث ينتشر أيضا الفساد والرشى لـ«تسريع المعاملات»، بحسب ما يصف بعضهم. ويكشف بعض هؤلاء، بمن فيهم مصريون يملكون عقود عمل لسنة ونصف أو لسنتين، أن «العقد ليس مجانيا، بل تدفع من دخلك جزءا منه لمن أمّن لك عقد العمل، ويقول لك إنه ليس لجيبه بل لتسيير الأمور، رغم معرفتي أني أُستغل لكني مضطر إلى ذلك كغيري».

تجربة مختلفة

في سانتياغو ثمة من حالفه الحظ. فالفلسطيني ـ العراقي هيثم محمد (الصورة) يعيش هناك منذ 14 سنة مع زوجته وأطفاله. يقول: «نحن ممن جرى طردنا وملاحقتنا في بغداد ووصلنا إلى التنف والهول، فحصلنا على لجوء وإقامة في تشيلي من خلال مفوضية الأمم المتحدة للاجئين، وبعضنا تشتت إلى البرازيل وأوروبا». يقف هيثم على عمله يوميا في أحد أحياء سانتياغو يسوق «الحلويات العربية» التي يصنعها مخبز فلسطيني قريب من عربته: «العمل ليس فيه ما يُخجل، فكل المهاجرين بدأوا رحلتهم في هذا البلد بطرق أصعب مما هي عليه اليوم». يحمل هيثم وأسرته اليوم الجنسية التشيلية، وحين حضروا، تكفلت بهم الحكومة من حيث تأمين دراسة اللغة والمسكن والاندماج للخروج إلى سوق العمل. وغير بعيد عن هيثم تجد مهاجرين جددا في سانتياغو من سورية ومن فلسطين، ومن الأخيرة من حضر على خلفية زواج وآخرون بصفة حملهم الجنسية التشيلية لأن أجدادهم مقيمون منذ عقود.

عتب في المهجر

عتب كبير يحمله بعض الشباب الذي وصل إلى أميركا اللاتينية على بعض الدول العربية. فبعضهم تجده منذ سنوات يعمل بكدّ من أجل تأمين لقمة العيش لأسرته وأطفاله الذين تركهم خلفه، كما حال بعض المصريين الذين يحضر بعضهم بعقود عمل، لينتهي به المطاف يعمل في مطاعم ومخابز، وممن يحملون شهادات لم يستطيعوا تأمين فرصتهم في أوطانهم الأصلية. ورغم أن آخرين، كحال بعض اليمنيين والسوريين، يضطرون، نتيجة أوضاع مأساوية في دولهم، إلى البحث عن حياة هرباً من حروب طاحنة، لا تغيب المرارة في أحاديث هؤلاء عن «سد الأبواب العربية» منذ سنوات في وجوههم. يستغرب بعض هؤلاء الشباب العرب كيف أن بعضهم يملك شهادات وخبرات ورغم ذلك «تجد بعض دولنا العربية، إما تطردك وإما تمنعك من الاقتراب منها، لمصلحة استيراد يد عاملة وموظفين من كل دول العالم»، كما يذكر الشاب اليمني إبراهيم، ويؤيده في ذلك صديقه معاذ.

واقع الهجرة في أميركا اللاتينية اليوم يختلف كثيراً عن الهجرات القديمة، التي بدأت أيضاً بكد وكفاح كبيرين، بيد أن أهلها تجاوزوا بعد أجيال ما يعيشه اليوم جيل عربي متعلّم من انسداد أفق الحياة في أوطانهم، ما عرض بعضهم للوقوع في شرك مهربين «للأسف عرب مثلنا». ورغم اختلاف الدوافع والأمنيات يظل القاسم المشترك بين المغاربي والمصري والمشرقي واليمني الشكوى من غياب اهتمام حقيقي بحال هذا الجيل العربي الذي يضطر إلى قطع آلاف الكيلومترات نحو قارة أخرى بحثاً عن عمل بسيط يسدّ رمق الأسرة.

ناصر..

الدنمارك... تجريد من الجنسية على طاولة البحث

كوبنهاغن ـ **العربي الجديد**

تثار هذه الأيام في كوبنهاغن وعود انتخابية قدمها الحزب الحاكم، يسار الوسط، بشأن تبني قانون تسهيل تجريد الحاصلين على الجنسية الدنماركية منها. وتجد رئيسة الوزراء، ميتا فريدركسن، نفسها تحت ضغوط كبيرة للمضي قدماً في تسهيل سحب الجنسية. وكان الاجتماعي الديمقراطي الحاكم قد طرح في وعوده الانتخابية عام 2019 حول إمكانية «توسيع قانون تجريد الجنسية». ويستند المؤيدون للقانون إلى أنه يتوجّب سحب الجنسية، بغض النظر عن سنوات الإقامة ومكان الولادة، من الأشخاص الحاصلين على جنسية الدنمارك إذا ما تورّطوا في «أعمال إجرامية خطيرة» أو «تجارة المخدرات». ورغم اعتراف فريدركسن بأن قصة سحب الجنسية ممن يخالف القانون «ربما تتعارض مع بعض المواثيق والتعهدات الدولية»، يدفع اليمين المتشدد والمحافظون والليبراليون المعارضون نحو توسيع صلاحيات المحاكم الدنماركية سحب جواز السفر الدنماركي. ويتذرع هؤلاء بأمثلة أوروبية، لكن حكومة يسار الوسط، وبعد مراجعة مع الخارجية الدنماركية، تعد فقط أن «تواصل الحكومة مناقشاتها مع المنظمات الدولية، وبالأخص الأمم المتحدة، لدراسة قانونية سحب الجنسية ممن يخالف قانون العقوبات العادي».

المعارضة اليمينية ترى وجوب تجريد الشخص من جنسيته الدنماركية إذا ما حكم عليه بالسجن 5 سنوات لمخالفته قانون العقوبات، بينما يذهب حزب الشعب الدنماركي المتشدد إلى اعتبار سحب الجنسية أسهل من ذلك بكثير «فقد منحت السلطات في تعديل سابق قبل 3 أعوام حق التجريد الإداري للجنسية دون العودة إلى المحاكم». اليسار ويسار الوسط يرفضان مقترح توسيع سحب الجنسية الإداري «كونه يتعلق بقضايا محددة تتعلق بأمن الدولة والانخراط في منظمات إرهابية أو في حروب ضد الدولة والمصالح الدنماركية»، بحسب ما ردّ يسار الوسط على منتقديه أول من أمس الجمعة.

في حين تتوعّد المعارضة اليمينية في البرلمان الدنماركي حكومة فريدركسن بطرح مشروع قانون على البرلمان بعد الإجازة الصيفية. ويذهب هؤلاء في اقتراحهم، المنوي استعراضه أمام اللجان القانونية، باتجاه تسهيل شروط سحب الجنسية إذا حُكم الشخص بسنة سجناً. ويثور سجال الجنسية في كوبنهاغن حول سحب جنسية الشاب أحمد الحاج الذي يحاكم اليوم بتهمة «الخيانة»، بعد انضمامه إلى صفوف تنظيم «داعش»، رغم أنه ولد وكبر في الدنمارك. وتمنع المواثيق الدولية كوبنهاغن من تحويل الأشخاص، بسحب جنسيتهم، إلى «عديمي جنسية»، إذا لم يكونوا يحملون جنسية مزدوجة. وهي القضية التي تذكر كوبنهاغن، من خلال الدائرة القانونية في خارجيتها، أنها بصدد التفاوض حولها مع الأمم المتحدة. وكانت وزيرة الهجرة السابقة من يمين الوسط الليبرالي، انغا ستويبرغ، قد اقترحت تجريد الجنسية من الأشخاص «الذين يخلّون بمسائل الولاء للدنمارك والذين تكتشف السلطات أنهم قدموا معلومات مغلوطة للحصول على إقامة وجنسية في الدنمارك».